

تفسير ابن كثير

وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ^ج وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي
الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ

يقول تبارك وتعالى ردا على الكفار فيما ابتدعوه وأحدثوه من الشرك بالله ، المخالف لملة إبراهيم الخليل ، إمام الحنفاء ، فإنه جرد توحيد ربه تبارك وتعالى ، فلم يدع معه غيره ، ولا أشرك به طرفة عين ، وتبرأ من كل معبود سواه ، وخالف في ذلك سائر قومه ، حتى تبرأ من أبيه ، فقال : (يا قوم إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيئا وما أنا من المشركين) [الأنعام : 78 ، 79] ، وقال تعالى : (وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين) [الزخرف : 26 ، 27] ، وقال تعالى : (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم) [التوبة : 114] وقال تعالى : (إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيئا ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين) [النحل : 120 ،

[122] ، ولهذا وأمثاله قال تعالى : (ومن يرغب عن ملة إبراهيم) أي : عن طريقته

ومنهجه . فيخالفها ويرغب عنها (إلا من سفه نفسه) أي : ظلم نفسه بسفهه وسوء تدبيره

بتركه الحق إلى الضلال ، حيث خالف طريق من اصطفى في الدنيا للهداية والرشاد ، من

حادثة سنه إلى أن اتخذ الله خليلا وهو في الآخرة من الصالحين السعداء فترك طريقه

هذا ومسلكه وملته واتبع طرق الضلالة والغي ، فأى سفه أعظم من هذا ؟ أم أي ظلم

أكبر من هذا ؟ كما قال تعالى : (إن الشرك لظلم عظيم) وقال أبو العالية وقتادة : نزلت

هذه الآية في اليهود ; أحدثوا طريقا ليست من عند الله وخالفوا ملة إبراهيم فيما أخذوه ،

ويشهد لصحة هذا القول قول الله تعالى : (ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان

حنيفا مسلما وما كان من المشركين إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي

والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) [آل عمران : 67 ، 68] .